

ذكر العلماء والصالحين بتنبكت

ذُكِرَ بعض العلماء والصالحين ، الذين سكنوا تنبكت سلفاً وخلفاً ، رحمهم الله تعالى ورضى عنهم ، ونفعنا ببركاتهم في الدارين . وذكُرَ بعض فضائلهم ومآثرهم . وكفى في ذلك ما رواه الشيوخ الثقات عن الشيخ العالم ، الفاضل ، الصالح ذي الكرامات ، والعجائب ، الفقيه القاضي محمد الكابري رحمه الله تعالى . أنه قال : أدركتُ من صالحى سنكرى ، مَنْ لا يُقدِّم عليهم في الصلاح أحد إلا أصحاب رسول الله ﷺ ورضى عنهم أجمعين .

منهم الفقيه الحاج جد القاضي عبد الرحمان بن أبى بكر بن الحاج ، تولى القضاء بتنبكت ، في أواخر دولة أهل مى ، وهو أول من أمر الناس بقراءة نصف حزب من القرآن للتعاليم في جامع سنكرى ، بعد صلاة العصر ، وبعد صلاة العشاء . جاء هو وأخوه السيد ، الفقيه إبراهيم من بير ، فسكن في بنك . وقبره معروف هنالك يُزار . قيل : إنه من الأبدال .

وروى عن شيخنا الفاضل ، الزاهد ، الفقيه الأمين بن أحمد أنه قال : جاءت غزوة سلطان موش ^(١) في زمانه إلى بنك ، فخرج الناس إلى قتاله ووجد الحال أن الجماعة قعود عنده ساعتئذ ، فتكلم بها تكلم على شيء من الدخن ^(٢) ، وأمرهم بأكله فأكلوه إلا واحداً منهم وهو صهره فاستحى لأجل المصاهرة . وقال لهم : اذهبوا إلى القتال ولا يضركم من سهامهم . فسلموا جميعاً إلا الرجل الذى لم يأكله ، فمات من ذلك القتال فانهمز سلطان موش ، وطردوه مع جيشه ، وما نالوا من أهل بنك ، ببركة هذا السيد المبارك .

ومنه تنسَّلَ ولى الله تعالى الفقيه إبراهيم بن ولى الله تعالى القاضي عمر الساكن يندىغ ، وهما من عباد الله الصالحين . إسكيا الحاج محمد هو الذى ولاه قضاء تلك الناحية ، وله ابن أخت كان يزور تنبكت بعض الأحيان . فاشتكى به القاضي الفقيه محمود عند

(١) موش : قبائل وثنية .

(٢) الدخن : نوع من النباتات أشبه بالذرة .

الأمير ، اسكيا الحاج محمد . أنه ينقل كلامهم إلى أهل يندبغ على وجه النميمة . فلما نزل تل جاءه الفقيه القاضي عمر في جماعته مع أهل يندبغ للسلام عليه ، فسأل عن ابن أخته .

قالوا له : ها هو ذا ، قال له : أنت الذى تنقل الكلام بين الفقيه محمود وبين خالك بالنميمة ، فغضب القاضي عمر ، وقال له : أنت النمام الذى جعلت القاضي فى تنبكت ، وجعلت القاضي فى يندبغ . فقام مُغضباً ، فسار نحو المرسى ، قال لأصحابه : نسير ونقطع البحر ، ونمشى فى حالنا .

فلما وصل البحر أراد أن يدخل فيه ، قالوا له القارب ما كانت الساعة ، اصبر حتى يجى . قال : ولو لم يكن ، ففهموا منه أنه يقطع البحر بلا قارب . فأمسكوه وأجلسوه ، حتى جاء القارب وقطعوا معه ، رحمهم الله ونفعنا بهم آمين .

ومنهم الفقيه أبو عبد الله اندغمحمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح . معدن العلم ، والفضل ، والصلاح . ومنه تنسّل كثيرٌ من شيوخ العلم والصلاح منهم من جهة الآباء ، ومنهم من جهة الأمهات ، ومنهم من جهتهما معاً . فهو عالم جليل قاضى المسلمين .

قال العلامة الفقيه ، أحمد بابا رحمه الله : هو أول من خدم العلم من أجداده فيما أعلم ، وهو جد جدّى لأمه أبو أم جدى . تولى القضاء بتنبكت فى أواسط القرن التاسع . قلت : وذلك فى دولة التوارق . ثم عمر والد جدى . فكان فقيهاً عالماً صالحاً ، قرأ على الفقيه الصالح ، القاضي مودب محمد الكابرى . انتهى كلام الفقيه أحمد بابا مختصراً .

ومنهم ولده الفقيه ، المختار ، النحوى ، العالم بكل فنٍّ من فنون العلم . عاصر هو وأبوه مع الفقيه ، العالم ، القطب ولى الله تعالى سيدى يحيى التادلسى ، رحمهم الله تعالى ورضى عنهم . تُوفى رحمه الله تعالى فى أواخر العام الثانى والعشرين بعد تسعمائة .

ومنهم أيضاً الفقيه عبد الرحمان ، عالم التهذيب للبرادعى ، التقى ، الحلبي لم يترك عقبا إلا ابنة واحدة .

ومنهم حفيده أبو العباس أحمد برى بن أحمد بن اندغمحمد ، العالم التقى

المُقلِّد من الدنيا المتواضع لله تعالى ، أخذ عنه العلم جماعةً كثيرةً من شيوخ العلم ، من المتأخرين ، من أهل سنكرى رحمه الله تعالى .

ومنهم حفيده أبو عبد الله اند غمحممد . بن الفقيه المختار النحوى بن اند غمحممد . أما مسجد سنكرى . سلم فيها شيخ الإسلام أبو العباس البركات ، الفقيه القاضى محمود عند كِبَر سنَّه ، فولاه إياها . وهو عالم تقى ، ورع ، متواضع ، واثق بالله . شهير فى علم العربية . مادح لرسول الله ﷺ . مسرد لكتاب الشفاء للقاضى عياض . بعد موت أبيه فى مسجد سنكرى إلى أن مات رحمه الله تعالى .

ومنهم الفقيه ، المختار بن محمد بن الفقيه المختار النحوى بن اند غمحممد ، المادح لرسول الله ﷺ ، المتفق عن المداحين فى ميلاد النبى ﷺ . ويطرب لذلك غاية الطرب ، ويذل جهده فيه إلى أن مات رحمه الله تعالى .

ومنهم ابنه الفقيه محمد سن ، ابن الفقيه المختار شيخ المداحين . فقام به أحسن قيام وبالسكينة والوقار على الدوام والاستمرار . إلى أن توفى رحمه الله تعالى . كان خيراً ، فاضلاً ، تقياً ، زاهداً ، ورعاً ذا مروءة ، ووفاء بالعهد ، لازمه من حين الطفولة إلى الكِبَر . وهو ذرية الفقيه اند غمحممد الكبير من جهة الأب والأم ، وأمه بنت الفقيه اند غمحممد .

وكذلك الفقيه القاضى محمد قرينك . وأخوه الفقيه القاضى أحمد . أمهما بنت الفقيه الإمام اند غمحممد وأبوهما الفقيه اند غمحممد ، ابن أحمد اند محمد بن أحمد بن برى بن أحمد بن الفقيه اند غمحممد الكبير .

ولهذا المقام المبارك ، خمس بنات مباركات ، كلهن ولدن رجالاً مباركين هاتان المذكورتان ، والثالثة أم شيخ الشيوخ ، إمام مسجد سنكرى . الفقيه محمد بن محمد كرى . والرابعة حامل كتاب الله تعالى محمد بن يمدغرين . والخامسة أم أحمد ماتن بن تل أخ تكرى ، ومنهم أبو العباس الفقيه أحمد بن اند غمحممد بن محمود بن اند غمحممد الكبير ، الزكى ، الفطن ، العالم بفنون العلم ، من الفقه ، والنحو ، والأشعار ، وغير ذلك رحمه الله تعالى .

ومنهم أبو محمد عبد الله بن الفقيه برى بن أحمد بن الفقيه أبى العباس أحمد

ابن غمحمحمد ، وهو من ذريته من جهة الأب والأم ، لأن أمه أخت الفقيه أبي العباس أحمد بن غمحمحمد ، كان مفتياً في زمنه لغويّاً متواضعاً . سُهر في زمانه بعلم القرآن والتوثيق رحمه الله تعالى . ومنهم أسباطه الثلاثة شيوخ الإسلام ، الأئمة الأعلام : الفقيه عبد الله ، والفقيه الحاج محمد ، والفقيه محمود ، أبناء الفقيه عمر بن محمد اقيت .

قال فيهم العارف بالله تعالى ، القطب سيدى محمد البكرى ، أحمد ولي محمود ولي عبد الله ولي . لولا أنه في قرية بقى في تازخت حتى تُوفى فيه . ووصى ألا يُغسله أحد إلا تلميذه إبراهيم حبيب بن محمد بابا . فأتى ووجد سراجاً مُوقداً عنده . فقال لأهل بيته : أين سبحة الشيخ . فأتى به ، فأمر بإطفاء السراج ، فوضع السبحة في مكان ، فسطع منها نور أضاء البيت حتى فرغ من الغُسل .

وأما الحاج أحمد فهو من عباد الله الصالحين ، والعلماء العاملين ، وأما محمود فهو صاحب كرامات وبركات كثيرات . وكم تُودى في مواطن الغيبة لتفريج الشدائد والمُلمات فحضر وأنفذ ، وبعدما دفن أخوه الأكبر الحاج أحمد رحمه الله تعالى ونفَعنا به ، ورجع لداره صار حزيناُ جداً ، بحيث يُعزّيه الناس ولا يفطن لهم . فلما جاز بدار عثمان طالب تنفس الصَّعداء . وقال : الآن افترق أخى أحمد مع الملائكة وعلم الناس أنه يشاهدهم ، ولذلك تحزن .

وهذا نوع عظيم من الكرامات والمكاشفات ، وروى عن الفقيه المصلى . وهو من أكبر شهود مجلسه واسمه الفقيه اند غمحمحمد بن ملوك بن أحمد بن الحاج الدليمى من أهل الزاوية في المغرب ، وهو سَمى جد الفقيه محمود من أمه .

ولُقّب بالمصلى لكثرة صلواته في المسجد . أنه قال : عزمْتُ على خطبة ابنه منه ، فكتبت البراءة منى ، فعزمت متى خرج جميع جلسائه ، وبقيت أنا وهو أعطيتها إياه ، فلما تخاليتُ معه بدأنى بالكلام .

وقال : الطيور التى يتحد جنسها ، هى التى تجمع في الطيران ، فعلمتُ حينئذ أنه كُوشف على ما عزمْتُ عليه فتركْتُها . وتُوفى المصلى رحمه الله سنة خمس وتسعين وتسعمائة ، بعد ما أخذ العلامة الفقيه القاضى أبو حفص عمر سنتين في القضاء .

ومنهم أبو حفص عمر ابن الحاج أحمد بن عمر بن محمد بن محمد بن محمد بن النحوى

المادح لرسول الله ﷺ صباحاً ومساءً ، المسرد لكتاب الشفا في كل يوم رمضان ، في مسجد سنكري الواصل لرحمه ، المتعاهد لأقاربه ، يتفقدهم في صحتهم ، ويعودهم في مرضهم ، المنشر وجهه للخاصة والعامة ، المتوفى شهيداً في مدينة مراکش رحمه الله تعالى ، ورضى عنه ، وبرّد ضريحه وأسكنه أعلى الفرديس فسيحه .

ومنهم أخوه أبو بكر المعروف بابكر بير بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد اقيت ، العالم ، الزاهد ، المُتصدِّق ، المنفق على الأيتام والتلاميذ ، المتغرب في أيام دولته مع جميع عياله وأولاده إلى مجاورة رسول الله ﷺ ، حُباً لله ولرسوله ﷺ ، وسكن المدينة المُشرّفة إلى أن مات مع كافة عياله ، في جوار المصطفى ﷺ .

وقد عزم على ترحيلهم حين حج في المرة الأولى ، حتى برز بجميع العيال وانفصل بهم عن البلد ، فانتزعهم منه القاضي العدل العاقب ، وعلم أنه لا يرجع إليهم ، ولا يجب مفارقتة إلى المرة الثانية بعد وفاة العاقب ، رحل بهم جميعاً ، وجاور في المدينة المُشرّفة إلى أن ماتوا كلهم .

ومن كراماته أن أخاه ، العلامة ، الفقيه أحمد بن الحاج أحمد طلب من أبي البركات ولي الله تعالى القطب سيدى محمد البكرى رحمهم الله تعالى ، ورضى عنهم أن يُريه ولياً من أولياء الله الذى يتوسل به إليه سبحانه ، فأنعم له إلى ليلة واحدة بعد ما صلى العشاء الآخرة في جامع الأزهر .

أراد أن يخرج وهو مُمسكٌ بيد الفقيه أحمد ، فوضع يده ذلك على رأس رجل جالس فيه في الظلام . فقال : ها هو مطلوبك ، فجلس بين يديه وسلّم عليه ، فإذا هو أخو ابكر بير فتحدّث معه قليلاً ، ثم خرج ووجد ذلك السيد واقفاً في باب الجامع . فقال : هذا الذى أريتنى . فقال : ها هنا يصلى العشاء الآخرة كل ليلة .

ومنهم أخوه العلامة ، المُحدّث ، الفقيه أحمد بن الحاج أحمد عمر بن اقيت . العالم الجليل ، الفصيح الذى كمل الله سبحانه له أنواع الجمال كلها خلقاً ولوناً ، وصوتاً وخطاً وفصاحة ، البارِع في علوم الأدب والفقه والحديث ، المادح لرسول الله ﷺ .

المسرد للصحيحين^(١) في مسجد سنكري المحبب إلى جميع الخلق ، العزيز عندهم .

وكفى في عزّه وشرفه ما خاطبه به الولي الصالح أبو عبد الله محمد البكري في قصيدته المرسلّة إليه حين غاب عنه ، وذلك قوله ﷺ ونفعنا به :

أَحْبَبْنَا وَاللَّهِ إِنِّي عَلَىٰ عَهْدِي وَحُبِّي لَكُمْ حُبِّي وَوُدِّي لَكُمْ وَوُدِّي
وَلَمْ أَنَسْ التَّدَانِي وَطَيْبَهَا وَأَوْقَاتَنَا مَا بَيْنَ عَوْرٍ إِلَىٰ جَدِّي
وَإِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِي لَكُمْ وَتَوَجُّهِي إِلَىٰ اللَّهِ فِيمَا تَرْجُونَ مِنَ الرَّفْدِي
وَأَسْأَلُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مَكْرَم بَتَحْقِيقِ مَا تَبْغُونَ مِنْ وَاسِعِ الْمَدَى
لَعَمْرُو دِينَ ثُمَّ أَوْلَادِكُمْ وَمَا تَرُومُونَ مِنْ فَضْلِ يَفِيضُ بِلا حَدَى

ومنهم : أولاد شيخ الإسلام أبي البركات وليّ الله تعالى الفقيه القاضي محمود بن عمر بن محمد اقيت : القاضي محمد ، والقاضي العاقب ، والقاضي عمر ، والفقيه عبد الله ، والولي الزاهد الفقيه عبد الرحمن .

قال بركة الإسلام الفقيه مسراند غمحمّد ، والشيخ الفاضل مسر بير : ما فضلنا محمود بن عمر إلا بالأولاد الصالحين . انتهى .

أما القاضي محمد ، فكان عالماً جليلاً ، فهاماً ، ذكياً . وليس له نظيرٌ في عمره في الفهم ، والدهاء ، والعقل وساعده الدنيا . وما أصبح في ليلة ولادته إلا وألف مثقال ذهباً بات في ملكه من ضيافة الرجال الذين فرحوا بولادته ، لأنه أول مولود ذكر لأبي البركات ، الفقيه محمود .

وأما القاضي العاقب فكان عالماً ، جليلاً ، ثاقبَ الذهن ، قوياً القلب ، صلباً في الحق ، لا يخاف في الله لومة لائم ، ذا فراسة إذا تكلم في شيء ، لا يخطيء كلامه كأنه ينظر في الغيب ، قد ملأ أرضه بالعدل ، بحيث لا يُعرف له نظيرٌ في ذلك من جميع الآفاق .

وأما أبو حفص القاضي عمر ، فقد برع في علم الحديث والسير والتواريخ وأيام الناس . وأما الفقه فقد بلغ فيه الغاية القصوى . حتى قال بعض مَنْ عاصره من

(١) الصحيحان : هما صحيح البخاري وصحيح مسلم . وهما من كتب الأحاديث الأربعة الصحيحة بجوار كتابي (الموطأ) للإمام مالك ، و (المسند) للإمام أحمد بن حنبل .

الشيوخ : أنه لو كان موجوداً في زمن ابن عبد السلام بتونس لاستحقَّ أن يكون مُفتياً فيها .

وأما عبد الله . فهو عالم فقيه ، مدرس مُتقلل من الدنيا ، مع ما بسط الله تعالى له من الرزق ، حتى كاد أن لا يعرف نهايته .

وأما الشيخ الصالح ، الولي ، الناصح ، العارف بالله تعالى . ابنه الناسك العابد ، الزاهد ، الورع الواعظ ، أبو زيد عبد الرحمن ، كان فقيهاً عالماً ، مُعرضاً عن الدنيا بكلية بحيث لم يقبلها ، ولو في لحظة واحدة ذا مكاشفات ، وأصحاب مدرسته يحكُون عنه في ذلك حكايات كثيرات ، من ذلك : ما رُوِيَ بالتواتر أن محلة الباشا جودر لما برزت من مراكش أشار فيها لأهل تنبكت يومئذ .

وهو يوم الأربعاء الثاني من محرم . فاتح عام التاسع والتسعين بعد تسعمائة ، فلما صلى بالناس الظهر وجلس في مدرسته قال : بالله بالله لتسمعنَّ في هذا العام ما لم تسمعوا به قط ، ولترونَّ فيه ما لم تروا مثله قط . وفي جمادى الأولى منه ورد السودان ، وفعلوا فيه ما فعلوا ، والعياذ بالله من مثلها ، هكذا يغفل منها كثيراً .

ومنهم الفقيه العالم الرباني ، الولي الصالح أبو العباس بن الفقيه محمد السيد سبط الفقيه محمود الشهير بالعلم في زمنه . وحضر مجلسه جماعة كثيرة ، من شيوخ العلم للأخذ عنه . منهم : القاضي عمر بن الفقيه محمود . والفقيه محمد بغيغ الونكري . وأخوه الفقيه أحمد بغيغ ، والفقيه محمود كعت^(١) ، والفقيه محمد كب بن جابر كب وغيرهم . وشهدوا له بالعلم ، والسيادة ، والورع ، والصلاح ، رحمه الله تعالى وأبقى بركته علينا وعلى المسلمين .

ومنهم حفيده الفقيه العالم أبو بكر بن أحمد بير بن الفقيه محمود ، كان فاضلاً خيراً صالحاً ، نشأ به وشهد له بذلك أعمامه الصالحون ، واتفقوا على تقديمه للصلاة بالناس حين مرض الإمام القاضي العاقب رحمه الله تعالى .

ومنهم الفقيه ، العالم ، العلامة فريد دهره ، ووحيده عصره البارِع في كل فنٍّ

(١) محمود كعت : وُلِدَ عام ٨٧٣هـ / ١٤٦٨ م . عمل بالقضاء والتأليف ، من أشهر مؤلفاته : الفتاش في أخبار البلدان ، والجيش ، وأكابر الناس ، وتحرير أنساب الأحرار من العبيد .

من فنون العلم . أبو العباس أحمد بابا بن الفقيه أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد بن اقيت ، فجدّ واجتهد في بداية أمره بخدمة العلم حتى برع جميع معاصريه وفاق عليهم جداً ، ولا يناظر في العلم إلا أسياخه وشهدوا له بالعلم .

وفي الغرب اشتهر أمره وانتشر ذكره ، وسلّم له علماء الأمصار في الفتوى ، وكان وقافاً عند الحق ولو كان من أدنى الناس ولا يدهن فيه ولو للأمرء والسلاطين ، واسم محمد مكتوب في عضده الأيمن في الحلقة بخط أبيض .

وجميع من ذكرنا بعد ذلك ذكر الشيخ المبارك الفقيه اند غم محمد الكبير إلى هنا ، فهُم من نسل المباركين وذريته الصالحين رحمهم الله تعالى ، ورضى عنهم ونفعنا ببركاتهم في الدارين .

وأما جدّ الفقيه محمود محمد اقيت فهو من أهل ماسنة ، وسمعت العلامة الفقيه أحمد بابا رحمه الله أنه قال : ما رحله منها إلى بير إلا بُغض الفلانيين وهم متجاورون في سُكناها . وقال عنه : إنه على يقين من عدم مناكحته معهم ، ولكن يخاف ذلك على أولاده لئلا يتناسلون معهم . انتهى كلامه .

ثم بعد ذلك خطر له حبّ سُكنى تنبكت ، واكل هو سلطانه حينئذ ، فارتحل من بير ونزل بحلته بينه وبين راس الماء . ثم تحدث مع جد مسراند عمر وأخبره به ، فقال له : ما يمنعك منه ؟ قال : اكل فأتت بيني وبينه عداوة كبيرة . فقال له : إنا إنشاء الله تعالى أكون سبباً حتى تزول تلك العداوة ، وتسكن في تنبكت كما تريد ، فجاء إلى اكل في حلته ، ونزل عنده وبقي يتحدث معه ، إلى أن أخبره أن محمد اقيت ما يريد اليوم إلا أن يسكن في تنبكت . قال له : لا يصيب ذلك . قال : ولم ؟

فدخل في خيمته وأخرج درقة مشقوقة بالطعن بالرمح والضرب بالسيف ، فقال له : انظر إلى ما عمل محمد اقيت . وكيف يسكن المرء في بلد مع عدوه الذي عمل له هذا العمل . وقال : هيهات الذي عرفته فيه قد فات صار اليوم مسكيناً ذا عيال لا يريد إلا العافية ، وما زال يلاطفه بالقول اللين الحسن حتى زالت عنه تلك العداوة وأذن له بالمجيء إلى تنبكت فرجع إليه ، وأخبره به فارتحل مع عياله إليه وسكن فيه .

ومن الشيوخ المباركين أهل سنكري ، الفقيه أحمد بن الفقيه إبراهيم بن أبي

بكر بن القاضي الحاج والد مام سر . روى أن شيخنا الزاهد الفقيه الأمين بن أحمد أخى الفقيه عبد الرحمن أنه قال : لا يحول بين الشيخ أحمد هذا وبين درس المصحف إلا إقراء العلم ، وهو يلزم هذا العمل الصالح فى جميع أوقاته ، رحمه الله تعالى ورضى عنه ، وأعاد علينا من بركاته .

ومنهم الفقيه صالح بن محمد اند عمر المعروف بصالح تكن الشيخ المعمرى ، المستحرم عنه السلاطين ، يشفع للمساكين عندهم ، ولا يرون شفاعته على كل حال . ألف شرحاً على مختصر^(١) الشيخ خليل رحمه الله تعالى .

ومنهم السيد أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان بن عبد الله بن أبى يعقوب . العالم ، الفقيه ، النحوى ، المتفنن فى علوم الأدب ، والتفاسير ، والأشعار . وشهد له بالعلم جماعة الشيوخ ، رحمه الله آمين .



(١) مختصر الشيخ خليل : كتاب فى فروع المالكية ، تأليف : الشيخ خليل بن إسحاق الجندى المالكى ، المتوفى عام ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م ، وهذا الكتاب عدة شروح ، أشهرها شرح كمال الدين المعروف بابن الناشح . انظر : حاجى خليفة ، كشف الظنون ص ٥٦٨ .